منزلة الصحابة الكرام والرد على مناوئيهم في أشهر المنظومات العلمية بالمغرب والأندلس قصيدة «أبي عمران الأندلسي الواعظ في مناقب أم المؤمنين عائشة» نموذجا

د. عبد اللطيف الجيلاني

مُلَخّصُ البَحْث

وُلِعَ المغاربة والأندلسيون بالنظم، واستعملوه قالبا لصياغة مختلف العلوم والفنون، فاشتهرت منظومات كثيرة متنوعة في الوصايا والقراءات والعقائد والفقه والتاريخ والميقات وغيرها من العلوم التي سعى العلماء من خلالها إلى تطويع النثر وصوغه في أوزان شعرية منظومة؛ ليسهل حفظها وتكون أقرب إلى أذهان المتعلمين.

وبالرجوع إلى بعض هذه المنظومات نجدها تتضمن أبياتا بديعة في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، وتؤكد على عظيم منزلتهم في الإسلام، ووجوب توقيرهم وتفضيلهم، والإمساك عما شجر بينهم، كما نجدهم في كثير من منظوماتهم يتصدون للردِّ على مُتَنقصي الصحابة ومُبْغضيهم، وإفحامهم بالحجج المبينة والبراهين القوية.

ولعلّ أهم تلك المنظومات وأكثرها شهرة وتداولا بين أيدي الباحثين: نونية أبي محمد عبدالله ابن محمد الأندلسي القحطاني، ووصية محمد بن موسى الشهير بابن عمار الكلاعي الميورقي لابنه ـ وهما فيما يبدو من علماء القرن الخامس الهجري ـ، والأرجوزة المنبهة لأبي عمرو الدّاني(444هـ)، ومنظومة إضاءة الدُّجنة في اعتقاد أهل السنة لأبي العباس المقّري(ت1041هـ) وغيرها كثير، إلا أنه استوقفتني أثناء بحثي قصيدة في مناقب أم المؤمنين عائشة « للشيخ أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الله المربي الأندلسي المعروف بابن بهيج، الذي عاش في أواخر القرن الخامس الهجري(كان حيا سنة 496هـ)، وهي رائعة من الروائع الأدبية ضمّنها ناظمها بتعبير فائق، ولفظ رائق، ونظم محكم متين: فضائل أم المؤمنين عائشة وفضائل والدها أبي بكر الصديق، وجَادَلَ على لسانها خصومها ومبغضيها بالدليل الواضح من الكتاب والسنة، أولها:

مَا شَانُ أُمِّ المؤمنين وشَاني ... هُدِيَ المُحِبُّ لها وضَلَّ الشَّاني
إنِّي أَقُولُ مُبيِّناً عَنْ فَضْلِها ... ومُتَرْجِماً عَنْ قَوْلِها بِلِسَاني
يا مُبْغِضِي لا تَأتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ ... فالبَيْتُ بَيْتي والمَكَانُ مَكَاني

إنِّي خُصِصْتُ على نِساءِ مُحَمَّدٍ   بِصِفاتِ بِرٍّ تَحْتَهنَّ مَعاني
وَسَبَقْتُهُنَّ إلى الفَضَائِلِ كُلِّها   فالسَّبقُ سَبقي والعِنَانُ عِنَاني

وبالجملة فهذه القصيدة الرائعة قد حلّت من البلاغة والحُسن في حصن منيع، فهي واسطة العقد فيما اطلعت عليه من المنظومات التي تتناول منزلة الصحابة الكرام وتَرُدُّ على مُتنقصيهم، ولهذا أكثر العلماء من تداولها والتغني بأبياتها، بل لجأ بعضهم إلى معارضتها والنسج على منوالها.

وفي ختام هذا الملخص أنبّه إلى أنني قسمت بحثي في هذا الموضوع إلى مدخل وثلاثة مباحث، تناولت في المدخل نبذة وجيزة عن مكانة الصحابة عند علماء الإسلام عموما وعلماء المغرب والأندلس بصفة خاصة، وبينت فيه أيضا اهتمامهم بتقرير ذلك عن طريق النظم كما هو الشأن بالنسبة للنثر، مؤكدا قيمة النظم في الحياة التعليمية بالبيئة المغربية والأندلسية منذ القدم. وفي المبحث الأول عرضت قائمة بما وقفت عليه من المنظومات المغربية الأندلسية في الصحابة الكرام، وخصّصت المبحث الثاني لبيان منزلة الصحابة والرَّدِّ على مناوئيهم في مجموعة من أشهر المنظومات المغربية الأندلسية، وأما المبحث الثالث فتناولت فيه قصيدة أبي عمران الأندلسي الواعظ في مدح أم المؤمنين عائشة ، مُعَرِّفا بناظمها، وكاشفا حقائق جديدة لم يطلع عليها جميع الباحثين الذين درسوا هذه المنظومة أو نشروها، ثم تناولت قيمتها ومكانتها عند العلماء ومبينا طبعاتها ونسخها المخطوطة في مختلف الخزائن والمكتبات، وذكرت في خاتمة البحث أهم التوصيات والنتائج التي توصلت إليها، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الباحث في سطور

الدكتور عبد اللطيف الجيلاني Jilani5@maktoob.com

- أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة الحسن الثاني ـ عين الشق ـ الدار البيضاء.
- أستاذ سابق بكلية الآداب ـ جامعة ابن زهر ـ أكادير.
- دكتوراه في الحديث وعلومه من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس عام 2003م.
- رئيس مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء.

من أعماله المنشورة:

- الحافظ ابن رُشَيد السبتي وجهوده في خدمة السنة النبوية.
- الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب من الاختلاف، للإمام أبي عمر ابن عبد البر القرطبي(ت463هـ)، دراسة وتحقيق.
- استدعاءات الإجازة، لابن رُشَيد السبتي(ت721هـ)، دراسة وتحقيق.
- كتب المسلسلات عند المحدثين.
- التراحم بين الناس في السنة النبوية، وغيرها.

مدخل تمهيدي

في بيان منزلة الصحابة عند علماء المغرب والأندلس:

من البديهي أن يهتم علماء الإسلام بسيرة الصحابة وأن يصنفوا التصانيف في التعريف بهم وبيان فضائلهم؛ اعتبارا لمكانتهم في الإسلام وأثرهم في نشر تعاليمه، يقول الحافظ أبو عمر ابن عبدالبر القرطبي(ت463هـ): «وما أظن أهل دين من الأديان إلا وعلماؤه مُعْتَنُونَ بمعرفة أصحاب أنبيائهم؛ لأنهم الواسطة بين النبيّ وبين أمته»(1).

وبالبحث في التراث المغربي الأندلسي نجده يحفل بالتصانيف والأوضاع العلمية الناطقة بتمجيد الصحابة الكرام وتبجيلهم وتعظيمهم والاعتراف بفضلهم وسبقهم في الإسلام والإمساك عما شجر بينهم، بل يمكن الجزم بأن عقيدتهم في الصحابة الكرام وإجماعهم على القول بعدالتهم وعظيم منزلتهم وفضلهم يعدّ خصيصة من أبرز خصائص البلاد المغربية الأندلسية وفضيلة من أعظم فضائلها، ورافدا مهما من روافد وحدتها العقدية والمذهبية منذ سالف العصور، وإلى ذلك أشار الإمام أبو عبدالله محمد ابن فتوح الحُمَيْدي(ت488هـ) في كتابه جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس حينما ذكر فضائل الأندلس التي تميزت بها عن سائر البلدان، فقال: «ومن فضلها أنه لم يذكر قط على منابرها أحد من السلف إلا بخير وإلى الآن»(2)؛ أي إلى عصره رحمه الله تعالى.

ولم تسجل كتب التاريخ والتراجم سوى حالات يسيرة لبعض العلماء الذين تأثروا في مواقفهم من الصحابة الكرام بمذهبي النصب والتشيع المنتشرين بالمشرق؛ كما

(1) الاستيعاب(1/ 8-9) بحاشية الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر.
(2) جذوة المقتبس(ص7).

نلحظه عند أبي عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه القرطبي الأديب(ت328هـ) الذي تأثر بالنصب، وهو تيار يناصر بني أمية، ويعلن العداوة لعلي وأتباعه، وكذلك ما ورد في بعض المصادر من اتهام الإمام منذر بن سعيد البلوطي بالتشيع، وقد وقع بينه وبين ابن عبد ربه الأديب نفور وشنآن؛ حينما أنشأ ابن عبد ربه أرجوزة ذكر فيها أخبار الخلفاء، وجعل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه رابعهم، ولم يذكر عليا رضي الله عنه فيهم، ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان إلى عبد الرحمن بن محمد، وحكى ابن الأبار أن القاضي مُنذر بن سعيد لما اطلع على هذه القصيدة كتب بهامشها أبياتا أنشد فيها:

أو ما عليٌّ لا برحت مُلعنا ... يا ابن الخبيثةِ عندكم بإمامِ

ربُّ الكساء وخير آل محمد ... داني الولاء مقدم الإسلامِ[1]

وبالجملة فإن علماء المغرب والأندلس عبر مختلف العصور تشبتوا بالعقيدة السنية التي تؤكد مكانة الصحابة الكرام وتعترف بعظيم منزلتهم في الإسلام، بل قرّروا ذلك في كتبهم، وهذه بعض نصوصهم في ذلك:

قال مسلمة بن القاسم القرطبي(ت353هـ) في كتابه الرد على أهل البدع وتبيين أصول السنة: «ومن تمام السنة الصلاة على من مات من أهل القبلة وإن عمل الكبائر، وذكر فضائل أصحاب النبي ﷺ، والسكوت عما شجر بينهم، والاقتداء بهم. وخير الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق [...][2]، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين بعدهما، ثم علي الرضى رابعهم، ثم أصحابه الباقون خير الأصحاب، وأنصاره خير الأنصار، وأمته خير الأمم»[3].

(1) التكملة لكتاب الصلة(1/ 239).

(2) غير واضح في الأصل المخطوط.

(3) الرد على أهل البدع (الورقة305)، وقد حقّقت هذا الكتاب وسيصدر قريبا إن شاء الله.

وقال الإمام أبو بكر ابن العربي المعافري رحمه الله (543هـ) في العواصم من القواصم: «ما رَضِيَت النصارى واليهود، في أصحاب موسى وعيسى، ما رَضِيَت الروافض في أصحاب محمد ﷺ، حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل»[1].

وقال مالك الصغير الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني النفزي الأندلسي(ت386هـ)، قال رحمه الله:«وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون: أبوبكر وعمر وعثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وأن لا يذكر أحد من صحابة رسول الله ﷺ إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن الظن»[2].

ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أبي زَمَنِين (399هـ) قال: «ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبيﷺ، وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم، ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم»[3] .

وقال الإمام أبو عمرو الدّاني(ت444هـ) في الرسالة الواعية: «ومن قولهم ـ يعني أهل السنة ـ أن يحسن القول في السادات الكرام أصحاب النبي ﷺ، وأن تذكر فضائلهم، وتنشر محاسنهم، ويُمسك عما سوى ذلك مما شَجَرَ بينهم؛ لقوله ﷺ: إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا؛ يعني إذا ذكروا بغير الجميل، ولقوله ﷺ: الله الله في أصحابي، ويجب أن يُلتمس لهم أحسن المخارج، وأجمل المذاهب؛ لمكانهم من الإسلام، وموضعهم من الدين والإيمان، وأنهم أهل الرأي والاجتهاد، وأنصح الناس للعباد،

(1) العواصم من القواصم(ص192).
(2) متن الرسالة بشرح عبد المجيد الأزهري(ص20).
(3) أصول السنة لابن أبي زمنين(ص263).

وهم من قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾، وقد شهد لهم بالجنة في غير موضع من كتابه فقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿الْعَظِيمُ﴾ رحمة الله عليهم أجمعين...»[1].

وقال: «ومن قولهم إن أفضل الصحابة رضوان الله عليهم المهاجرون معه والذّابون عنه، كما قال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنَ انفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾، ثم الأنصار ثم التابعون بإحسان، وقال عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْاَنصَارِ﴾، وأفضل المهاجرين: العشرة الموعدون بالجنة، وهم: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة ابن الجراح، وأفضل هؤلاء العشرة الأئمة الأربعة: لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين، وأفضل الأربعة: لأبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رحمة الله عليهم أجمعين»[2].

وقال الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، قال رحمه الله: «فإن الكلمة في أول الإسلام والثمرة والصبر حينئذ، وركعة في ذلك الوقت؛ تعدل اجتهاد الأزمان الطوال، وجهادها وبذل الأموال الجسام بعد ذلك، ولذلك قال رسول الله ﷺ: دعوا لي أصحابي!! فلو كان لأحدكم مثل أحد ذهبا، فأنفقه ما بلغ مد أحدهم ولا نَصِيفَه، فكان نصف مُدٍّ شعير أو تمر في ذلك الوقت أفضل من جَبَل أُحُدٍ ذهبا ننفقه نحن في سبيل الله عز وجل بعد ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنَ انفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَاتَلُواْ وَكُلّاً

(1) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات(ص132ـ133).
(2) نفسه (ص133ـ134).

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. ثم قال أبو محمد: هذا في الصحابة فيما بينهم؛ فكيف بمن بعدهم معهم رضي الله عنهم أجمعين»[1].

وقال الإمام أبو بكر ابن العربي المعافري(ت543هـ) في شأن الأخبار التي يتداولها الناس عن الصحابة الكرام: «وخذوا لأنفسكم بالأرجح في طلب السلامة، والخلاص بين الصحابة والتابعين فلا تكونوا ـ ولم تشاهدوهم وقد عصمكم الله من فتنهم ـ ممن دخل بلسانه في دمائهم، فولغ فيها ولوغ الكلب في بقية الدم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها، لم يلحق الكلب منها إلا بقية دم سقط على الأرض»[2].

وقال أيضا: «ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التي يختلقها أهل التواريخ فيدسونها في قلوب الضعفاء»[3].

وقال العلامة أحمد بن محمد البرنسي التازي الفاسي المعروف بـــزروق (ت899هـ) ـ شارح متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ـ فقد نقل عن أبي القاسم الحكيم أنه قال: «اليهود والنصارى أحسن حالاً من الروافض وإن كانوا مسلمين؛ لأنه لو قيل ليهودي: من أفضل الناس؟ قال: موسى، فإذا قيل من أفضل الناس بعده؟ قال: نقباؤه، ولو قيل للنصراني: من أفضل الناس؟ قال: عيسى، فإذا قيل له: من بعده في الفضل؟ قال: حواريوه، ولو قيل لرافضي: من أفضل الناس؟ قال: محمد ﷺ، فإذا قيل له: من شر الناس بعد موته؟ قال: أصحابه، فقبح الله رأيهم فيما أتوا من ذلك. فالواجب ذكرهم بكل جميل، والإمساك عن كل ما يؤدي لخلافه، وما وقع بين علي ومعاوية فعن اجتهاد، ولكل أجرٌ بما وقع منه، ومذهب أهل السنة أن الصحابة كلهم عدول»[4].

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل(5/ 185).
(2) العواصم(ص227).
(3) نفسه (ص248).
(4) شرح زروق على الرسالة(1/ 85ـ86).

وغنيٌّ عن البيان أن اهتمام علماء المغرب والأندلس بالصحابة الكرام قد تجلى في مختلف أنماط كتاباتهم النثرية والشعرية، فقد جرى ذكر الصحابة والثناء عليهم في كتب الرحلات ودواوين الشعر والأمداح النبوية، فعلى سبيل المثال نجد الرحّالة المحدّث الشهير أبي عبد الله محمد بن عمر بن رُشَيد السبتي في رحلته المسماة ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة يشير إلى زيارته قبور الصحابة بالبقيع بعد زيارته قبر النبيﷺ وصاحبيه أبي بكر الصديق وعمر الفاروق، فيقول: «دخلنا المدينة شرفها الله للسلام على النبيﷺ، وقد ملأ السرور قلوبنا، وملك التوقير جوارحنا، واستعملنا سنة السلام وحيّيناه ﷺ بتحية الإجلال والإعظام، ووقفنا حيث حدّه العلماء من ضريحه الكريم، المخصوص بالتشريف والتعظيم، وقضينا المستطاع من أدب التحية، وكادت تغلب الوقار الأريحية... ثم قضينا حق السلام على خليفة رسول الله ﷺ الصديق، ثانيه في الغار والعريش والطريق، ثم على أمير المؤمنين الفاروق ثالثهما في المدفن الكريم المقدس، وتالي أبي بكر في المكانة الذي اختصه بحمل أعباء الخلافة بعده، وفوّض إليه ملقيا مقاليد تلك الأمانة رضي الله عنهما وجزاهما أفضل ما جزى صَاحِبَيْ نَبِيٍّ عنه، ثم زُرْنَا بالبقيع قبر أمير المؤمنين ذي النورين، وثالث العمرين رضوان الله عليه، وقبره في طرف البقيع بقيع الغرقد بالموضع المعروف بحُشِّ كوكب، ودفنت معه في قبة واحدة فاطمة بنت أسدرضي الله عنها أم المؤمنين وابن عم سيد المرسلين أبي الحسن علي بن أبي طالبرضي الله عنه، وقرأنا على مهد قبرها منقوشا: ما ضَمَّ قَبْرٌ أَمّ أَحَد، كفاطمة بنت أسد....وزُرنا من عُرِفَ قبره من الصحابة رضوان الله عليهم والصحابيات»[1]، وحكى ابن رُشيد فائدة في هذا المقام يحسن إيرادها عنونها بقوله: فائدة في الاقتداء، بشيوخ الاهتداء، ثم قال: «وقفت أنظر إلى سلام شيخينا ابني الزجاج على النبيﷺ فجاءا حتى استقبلا مقابلة

(1) ملء العيبة(5/ 18_19).

وجهه الكريم شرفه الله، والقنديل المعلّق هناك يكون حذو رؤوسهما، فأدّيا واجب السلام، ثم انحدرا يسيرا وَوَقَفَا ودَعَوَا بما تيسر لهما إلى جهة أيمانهما فسلّما على أبي بكر رضي الله عنه، ثم انحدرا يسيرا إلى مقابلة عمر رضي الله عنهما، فَسَلَّمَا عليه رضي الله عنه ووقفا عندهما. فقالا ما تيسر لهما ثم انصرفا على أيمانهما، فرأيت أبا القاسم عبدالحميد منهما يبكي وسمعته يقول وقد ولّى: ما أعطي أحد من الشرف ما أعطي أبو بكر وعمر، متى سُلِّمَ عليه سُلِّمَ عليهما. هذا أو معناه من الكلام»[1]، وسائر كتب الرحلات لا تُغفل الحديث عن زيارة قبور الصحابة وما يتبع ذلك من عبارات دالّة على عظيم الإجلال والتوقير لجنابهم رضوان الله عليهم[2].

وكما اعتنى المغاربة والأندلسيون بوصف رحلتهم إلى المدينة وزيارتهم قبور الصحابة نثرا اعتنوا بذلك شعرا، ومن أمثلة ذلك قصيدة للمحدث الأديب عبدالملك ابن حبيب السلمي(ت238هـ) ذكر فيها زيارته للمدينة المنورة والقبر النبوي وأجرى فيها ذكر زيارته لقبور الصحابة قائلا:

وبقبر حمزة والصحابة حوله — فاضت دموع العين منهمرات
سقيا لتلك معاهدا شاهدتها — وشهدتها بالخطو واللحظات
لا زلتُ زَوَّاراً لقبر نبينا — ومدينة زهراء بالبركاتِ
صلى الإله على النبي المصطفى — هادي البرية كاشف الكربات
وعلى ضجيعيه السلام مُرَدَّداً — ما لاَحَ نُورُ الحق في الظلمات[3]

(1) ملء العيبة (5/ 36).

(2) انظر على سبيل المثال: رحلة ابن جبير (ص144ـ145). بل إن هناك تصانيف كثيرة أفردت في بيان قبور الصحابة ومن جاء بعدهم من علماء الأمة؛ ككتاب مرشد الزوّار للموفق ابن عثمان، وكتاب الكواكب السيّارة لابن الزيّات، وعنوان النجابة للعلوي، وغيرها.

(3) نفح الطيب(1/ 46).

أمـا شعر المدائح النبوية فهو سبيل مـمهدة عند أدباء المغرب والأندلس لإظهار مدى اعتزازهم بالصحب الكرام، ويكثر ورود ذكرهم في ختام قصائدهم كمـا نقـف عليـه مثلا في معظم قصائد العلامة الأديب الشهير محمد بن أحمد بن علي المعروف بابن جـابر الأندلسي(ت780هـ)، كقوله:

صـــلى الإله على النـــبي المجتـــبى ... مــــا رجَّعَـــت في بانـــةٍ ورقـــاءُ
وعلى صـــحابته الأُلى بهـــم عَلَـــتْ ... في النـــاس هــذي الملــة البيــضاءُ[1]

وقوله أيضا في ختام قصيدة أخرى من قصائده في المديح النبوي:

صَـــــــلُّوا على المـــــــصطفى وآلٍ ... كانـــــوا على الحـــــقِّ أوليــــاءَ
وارضَـــوْا عـــن الـصحب ولتكونـــوا ... مــــن مبغـــضي صـــحبه بُـــرَاءَ[2]

ومن أشعار الأندلسيين التي تُفصح عن عقيدتهم في الصحب الكرام أبيـات للعـالم الأديب الرحّالة أبي الحسين محمد بن أحمد بن جُبَيْر الكناني الأندلسي(ت614هـ) يقول فيها:

أُحِـبُّ النـبي المـصطفى وابـن عَمِّـهِ ... عَلِيّـاً وسـبطيه وفاطمـةَ الزَّهْـرَا
هـمُ أهـل بيـت أُذهـبَ الـرجس عـنهمُ ... وأطلعهـمْ أفْـقُ الهـدى أنجمـا زُهْـرا
مُـــوالاتهم فـــرضٌ على كل مـــسلمٍ ... وحُـبُّهُمْ أسـنى الذخـائرِ للأخـرى
ومـــا أنـــا للـصحب الكـرام بمـبغضٍ ... فـإني أرى البغـضاءَ في حَقِّهِـمْ كُفْـرا
هُـــمُ جاهـــدوا في الله حـــقَّ جهـــاده ... وهمُ نَصَرُوا دين الهدى بـالظُّبَى نـصرا
علـيهمْ سـلام الله مـا دام ذكـرهمْ ... لدى المـلإ الأعلى وأَكْـرِمْ بـه ذكـرا[3]

---

(1) نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين(ص28).
(2) نفسه (ص33).
(3) نفح الطيب(2/ 493).

ومن أشعارهم التي تبين تعلقهم بالصحب الكرام وتُجلِّي عظيم منزلتهم ما جاء على لسان الأديب أبي بكر محمد بن الحسن المرسي - نزيل تونس - (ت679هـ) في مخمسته:

صِحَابُ رسول الله في الأرضِ أنجمُ ... ليرشد حيران وينجاب مظلمُ

بهم في الدُّنَا نُحْمَى وفي الدين نُعْصَمُ ... سأقطع عمري بالصلاة عليهمُ

وَأَدْأَبُ في حُبِّي لهم كل مَدْأَبِ[1]

وإذا كان ذكر الصحابة الكرام والثناء عليهم والدفاع عنهم في جارياً أشعار المغاربة والأندلسيين، فهو ظاهرٌ أيضا في منظوماتهم؛ إذ عرفوا بالنظم وتفننوا فيه، واستعملوه قالبا لصياغة مختلف العلوم والفنون، فاشتهرت منظومات كثيرة متنوعة في الوصايا والقراءات والعقائد والفقه والتاريخ والميقات وغيرها من العلوم التي سعى العلماء من خلالها إلى تطويع النثر وصوغه في أوزان شعرية منظومة، ليسهل حفظها وتكون أقرب إلى أذهان المتعلمين.

وبالرجوع إلى بعض هذه المنظومات نجدها تتضمن أبياتا بديعة في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، وتؤكد على عظيم منزلتهم في الإسلام، ووجوب توقيرهم وتفضيلهم، والإمساك عما شجر بينهم، كما نجدهم في كثير من منظوماتهم يتصدون للردِّ على مُتَنقصي الصحابة ومُبْغضيهم، وإفحامهم بالحجج المبينة والبراهين القوية، وهو ما سيأتي تفصيله في المبحثين الآتيين إن شاء الله تعالى.

(1) أزهار الرياض(5/ 249).

المبحث الأول: المنظومات المغربية الأندلسية في الصحابة الكرام

أورد المغاربة والأندلسيون ذكر الصحابة الكرام والثناء عليهم في أشهر منظوماتهم التي تناولت الوصايا والوعظ والعقائد، كما أنهم أفردوا بعض المنظومات أو خصصوا حيزا كبيرا منها للحديث عن الصحابة، وقد ارتأيت أن أورد أسماء بعض ما وقفت عليه من هذه المنظومات، مع بيان مكان الموجود منها[1]:

1. **قصيدة في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها**؛ لأبي عمران موسى بن محمد ابن عبد الله الأندلسي الواعظ المعروف بابن بهيج (كان حياً سنة 496هـ)، طبعت مرارا، وسيأتي الكلام عنها في المبحث الثالث من هذا البحث.

2. **أرجوزة في الزهد وذكر النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم**: لأبي الفضل جعفر ابن محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي القيرواني(ت534هـ)[2].

3. **ظل الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من خصَّه رسول الله ﷺ من صحابته بالكرامة**: لأبي عبد الله محمد بن مسعود بن فرج ابن أبي الخِصَال الغافقي ذي الوزارتين(ت540هـ)[3]، قصيدة حققها الأستاذ عبد الله كنون ولم ينشر.

4. **معراج المناقب ومنهاج الحسن الثاقب في نسب رسول الله ﷺ وما انتظم به من مناقب أصحابه رضوان الله عليهم**: لابن أبي الخصال الغافقي(ت540هـ)[4]، قصيدة حققها عبد الله كنون ولم ينشره[5]، وحُقّق في جامعة القرويين بفاس، وطبعت القصيدة

---

(1) أمدني بمعظم أسماء هذه المنظومات الأستاذ طارق طاطمي جزاه الله عني خير الجزاء.

(2) فهرسة ابن خير:(ص423).

(3) فهرسة ابن خير:(ص386)، ومعجم المؤلفين المعاصرين:(ص404).

(4) فهرسة ابن خير:(ص420).

(5) معجم المؤلفين المعاصرين:(ص404).

القصيدة ضمن رسائل ابن أبي الخصال عن دار الفكر المعاصر عام 1987م، بتحقيق محمد رضوان الداية، وتسمى القصيدة المديدة البائية، نظم فيها نسب النبي ﷺ إلى آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذكر جملة من معجزاته، ومناقب صحابته رضي الله عنهم في 366 بيتاً، قال عنها الكلاعي: «قصيدة فريدة مفيدة»، وذكر في الاكتفا قرابة 123 بيتاً من القصيدة، مطلعها:

إليك فهمي والفؤاد بيثرب   وإن عاقني عن مطلع الوحي مغربي
أعلل بالآمال نفسا أغرها   بتقديم غاياتي وتأخير مذهبي
وديني على الأيام زورة أحمد   فهل ينقضي ديني ويقرب مطلبي
وهل أَرِدَن فضل الرسول بطيبة   فيا برد أحشائي ويا طيب مشربي
وهل فضلت من مركب العمر فضلة   تبلغني أم لا بلاغ لمركب
ألا ليت زادي شربة من مياهها   وهل مثلها ريا لغلة مذنب
ويا ليتني فيها إلى الله صائر وقلبي   عن الإيمان غير مقلب[1]

5. **أرجوزة في قصة مقتل الحسين رضي الله عنه**: لأبي عمران موسى بن عيسى بن محمد الأزدي القرطبي المعروف بابن المناصف(ت627هـ)[2]، نظمها باقتراح من الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن زكرياء الدرعي المالكي الكفيف، ومما نظمه فيها قوله:

وترى نعامته أكنَّت فرخه   وذبابه نباء مداه يصير
وتكلف الصردان منه لسانه   ولحره في الأذن منه ظهور
وحداته قد أشرفت وفراشة   وبشعر صلصله تراه يشير

(1) الاكتفا (1/ 32).
(2) الذيل والتكملة(8/ 382-283).

6. **قصيدة في ذكر النبي ﷺ وأصحابه**: لأبي يعقوب الغماري(توفي في حدود 650هـ)[1].

7. **منظومة في أزواج النبي ﷺ**: لأبي عبد الله محمد بن علي بن العابد **الأنصاري** الفاسي الغرناطي(ت662هـ)، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم12245.

8. **تخميس قصيدة معراج المناقب ومنهاج الحسن الثاقب**: لأبي بكر محمد بن الحسن ابن يوسف ابن حبيش اللخمي(توفي بعد 679هـ)[2].

9. **العُمْدَة في النبي ﷺ والخلفاء بعده**: لمحمد بن أبي بكر بن عبد الله الأنصاري(ت681هـ)[3]، ذكر ابن عبد الملك أنه وقف على نسختين من هذا الكتاب، إحداهما أكبر من الأخرى، نقلهما من خطه، يقول في الصغرى:

هذا كتاب العمدة ... للذكر خير عدة
مشرف في ملئ ... مؤنس في وحدة

وفي الأخرى يقول:

الحمد لله على عونه ... في وضع هذا الجامع المختصر
ما أعظم النفع به لامرئ ... على اطلاع ليس فيه قصر

10. **قصيدة رائية في مدح أهل البيت**: لأبي حامد محمد العربي بن يوسف بن محمد الفهري القصري الفاسي(ت1052هـ)، منه نسخة بالخزانة الحسنية

(1) صلة الصلة:(القسم المفقود: رقم 222).
(2) تاج المفرق في تحلية علماء الشرق للبلوي:(ص121).
(3) الذيل والتكملة:(8/ 280-281).

رقم(14102)، ونسخة بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود رقم(349-8) من (3 ورقات)، أوله:

11. **هالة البدر في نظم أسماء أهل بدر:** لأبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العيّاشي(ت1090هـ)[1]، منه ست نسخ خطية بالخزانة الحسنية، تحت رقم(52، 598، 11982، 12302، 12402، 13406).

12. **إسفار البدر عن رجال أهل بدر:** لأبي عيسى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي الفهري(ت1109هـ)، وهي أرجوزة في ذكر أهل بدر، منها نسخة خطية في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم(18557) من (9 ورقات).

13. **رجاء الإجابة بالبدْريِّين من الصحابة:** لأبي محمد عبد السلام بن الطيب بن محمد القادري الحسني الفاسي(ت1110هـ)[2]، والكتاب عبارة عن منظومة تقع في 249 بيتاً، وهي في التوسل بالصحابة الذين حضروا غزوة بدر، توجد منها نسختان بالخزانة الصبيحية بسلا: الأولى تحت رقم (305/ 7)، وتضم 7 ورقات بخط مغربي مدموج كثيراً، والثانية برقم (379/ 3)، من (8 أوراق) بخط مغربي مبسوط جميل ملون ومشكول[3]، ومنها ست نسخ بالخزانة الحسنية تحت رقم(52، 11954، 12302، 12402، 12467، 13638).

14. **نيل القربات بأهل العقبات:** لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني(ت1110هـ)[4]، وهي أرجوزة من 76 بيتاً في التوسل بالصحابة الذين حضروا

(1) مقدمة اقتفاء الأثر:(ص67).
(2) الإكليل والتاج:(ص428).
(3) فهرس الخزانة الصبيحية:(260-261) رقم(540-541).
(4) الإكليل والتاج:(ص428).

بيعة العقبة، منها أربع نسخ بالخزانة الحسنية تحت رقم(52، 7248، 12467، 13938)، ونسخة أخرى في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(483/ 8 د) ضمن مجموع من (119 إلى 122)، ونسخة أخرى في الخزانة الصبيحية برقم(379/ 4).

15. **عقد اللآل ووسيلة السؤال بما له ﷺ من الآل**: لأبي محمد عبد السلام بن الطيب **القادري** الحسني(ت1110هـ)[1]، وهي منظومة في التوسل بآل البيت، توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(52)، ونسخة في الخزانة العامة برقم(2007/ 3) ضمن مجموع، من الصفحة 53 إلى 56، ونسخة أخرى بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود تحت رقم(349-5) من (3 ورقات).

16. **ذخيرة الاكتساب فيمن يدخل الجنة بغير حساب**: لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني(ت1110هـ)[2]، وهو منظومة في 40 بيتاً، توجد منها نسخة مخطوطة بالخزانة الصبيحية تحت رقم(379/ 5)، ونسخة بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود برقم(349-3) من ورقتين.

17. **أرجوزة في نشأة النبي ﷺ وأزواجه وعشيرته**: لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري(ت1110هـ)، منها نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(75 د) ضمن مجموع من (87 إلى 88).

18. **نظم في التوسل بالصحابة**: لمحمد بن عبد القادر الفهري الفاسي(ت1116هـ)[3].

---

(1) الإكليل والتاج:(ص428).
(2) معجم طبقات المؤلفين: (2/ 176).
(3) نفسه: (2/ 328).

19. **نظم فيمن هاجر إلى الحبشة من الصحابة:** لأحمد بن عبد القادر القادري الفاسي(ت1133هـ)[1]، وهي منظومة رجزية تقع في 89 بيتاً، منها نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(2839د).

20. **عوارف المنة فيمن شهد له بالجنة:** لأحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني(ت1146هـ)[2]، وهو منظومة رجزية في التوسل بأسماء الصحابة المبشرين بالجنة.

21. **قصيدة في مدح آل البيت:** لأبي محمد عبد المجيد بن علي بن محمد المنالي الحسني الفاسي الشهير بالزبادي(ت1163هـ)، هي قصيدة تقع في 46 بيتاً، امتدح فيها آل البيت النبوي وخصوصا فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ألفها عام 1143هـ، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم (14102)، ونسخة أخرى في مؤسسة علال الفاسي بالرباط تحت رقم(189ع) من ورقتين ضمن مجموع، أولها:

بآل البيت تنشرحُ الصُّدُور ⁂ وتزدانُ المحافلُ والصُّدور[3]

22. **قصيدة ميمية في رثاء عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: لأبي العباس أحمد بن عبد العزيز ابن رشيد الهلالي السجلماسي(ت1175هـ)، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم(12740).

23. **أرجوزة في التوسل بأهل بدر:** لأبي زيد محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبدالجليل السجلماسي الفيلالي البُوجَعْدِي(ت1214هـ)، منها سبع نسخ خطية بالخزانة الحسنية تحت رقم(52، 872، 12302، 12402، 12719، 13271، 13346).

---

(1) التقاط الدرر (ص320)، معجم طبقات المؤلفين(2/ 68).

(2) معجم طبقات المؤلفين(2/ 76)، التقاط الدرر (ص360).

(3) الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي(1/ 62).

24. **إغاثة المضطر في التوسل بأهل بدر**: لعلي بن محمد خُلَيّف التميمي القيرواني(ت1232هـ)، وهي منظومة من بحر الرجز في 250 بيتاً، قال في آخرها:

قد انتهت إغاثة المضطر ❊❊❊ أبياتها أجاب أهل بدر

أتمها عام 1202هـ، ومنها نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس من7 ورقات، تحت رقم (9/ 18557)، ضمن مجموع من الورقة 55 إلى 62[1].

25. **وسيلة الرواج في ذكر الأزواج**: لغالي بن المختار فال بن أحمد تلمود البصادي(توفي نحو 1243هـ)[2]، وهي منظومة في ذكر أسماء أمهات المؤمنين وأنسابهن، طبعت.

26. **نظم أهل بدر**: لعبد الله بن سيد محمود الحاجي(ت1250هـ)[3].

27. **قصيدة عينية في التوسل على ترتيب حروف اسم الصحابي سيدنا عمران بن حصين**: لأبي حامد محمد العربي بن محمد بن السائح الشرقي العمري الرباطي التيجاني(ت1309هـ)، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(13679).

28. **شرح قصيدة أهل بدر**: لمحمد بن عبد المجيد بن عبد الرحمن أقصبي(ت1364هـ)، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(7062).

29. **قصيدة الكرام في مدح آل بيت رسول الله عليه السلام**: للصادق بن محمد بن الصادق بن عبد الله الجزائري، قصيدة من (73 بيتاً) في مدح آل البيت النبوي الكريم،

---

(1) كتاب العمر(2/ 549-550).

(2) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(ص94).

(3) نفسه:(ص89).

طبعت في مراكش عن مطبعة التقدم الإسلامية دون تاريخ، في (4 صفحات)، منها نسخة بالخزانة العامة تحت رقم(A 14769).

30. **قصيدة في مدح أهل البيت:** لمصطفى بن محمد بن الكبير بن عبد الرحمن العلوي المدغري، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم(13762).

31. **أرجوزة في أنساب آل البيت:** للتهامي بن عبد الله بن الشريف عثمان، منه نسخة في الخزانة الحسنية، بخط مغربي من (20 ورقة).

32. **شرح أرجوزة أحمد بابا العلوي الشنقيطي في أزواج النبي ﷺ وما له منهن من البنين والبنات:** مجهول(كان حياً في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري)، منه نسخة في مؤسسة آل سعود بالدار البيضاء تحت رقم (142)، تضم (98 ورقة) بخط مغربي، ألفه بأمر من شيخه العربي بن السايح الرباطي(ت1309هـ)، أوله: «الحمد لله الذي بنعمته الصالحات وبأنوار عنايته نستوهب لطائف النفحات»، وآخره:«وهذا من خصائصه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام كما في أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب للحافظ السيوطي رحمه الله»[1].

---

(1) فهرس مخطوطات آل سعود:(ص42).

المبحث الثاني: منزلة الصحابة والردّ على مناوئيهم في أشهر المنظومات العلمية لعلماء المغرب والأندلس

إذا تأمّلنا معظم المنظومات التي أفردت في الصحابة الكرام فسنجدها تعتني بتدوين أسماء الصحابة وتعداد مناقبهم وذكر فضائلهم، بل إن كثيرا من المنظومات المتأخرة في الصحابة رام أصحابها نظم أسماء الصحابة على سبيل التبرك والتوسل، لكن حينما نستعرض طائفة من أشهر المنظومات العامة أو تلك التي تندرج في فن معين كالوصايا والمواعظ والعقائد؛ نجدها أكثر فائدة وأنفع عائدة في تجلية منزلة الصحابة الكرام والتأكيد على فضلهم وسبقهم في الإسلام ووجوب توقيرهم والإمساك عما شجر بينهم، والرد على متنقصيهم، ومن أشهر هذه المنظومات نونية أبي محمد عبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي، وهي منظومة عجيبة تناول فيها مواضيع كثيرة تتعلق بأصول الدين والأحكام الشرعية والأخلاق والمواعظ، وتحدث في عدد منها عن مكانة الصحابة وعقيدة أهل السنة والجماعة القاضية بوجوب محبتهم، وشدّد القحطاني النكير على الشيعة الذين يُكفرون الصحابة ويحطون من أقدارهم، وفيما يلي الأبيات التي ردّ فيها على الرافضة منتصرا للصحابة:

لا تعتقد دين الروافض إنهم ... أهل المحالِ وحِزْبَةُ الشيطانِ
جعلوا الشهور على قياس حسابهم ... ولربما كملا لنا شهران
ولربما نقص الذي هو عندهم ... وَافٍ وأوفى صاحبُ النقصان
إن الروافض شر من وطئ الحصى ... من كل إنس ناطقٍ أو جانِ
مدحوا النبي وخوّنوا أصحابه ... ورموهم بالظلم والعدوان
حَبُّوا قرابته وسبوا صحبه ... جدلان عند الله منتقضان[1]

---

(1) نونية القحطاني(ص20ـ21).

وواضح أن الإمام القحطاني قد شدّد لهجته في هجاء الرافضة بناء على أسس منطقية؛ منها استحالة الجمع بين محبة القرابة وسب الصحابة، فهو تناقض لا يقبله العقل؛ فكما أن الطعن في القرابة وآل البيت النبوي الطاهر يلزم منه الطعن في النبيﷺ ؛ كذلك الطعن في الصحابة يلزم منه الطعن في النبي ﷺ ، وهو ما يؤكده الإمام مالك بقوله عن الروافض: ((إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، لو كان رجلاً صالحا لكان أصحابه صالحين))[1] ، ثم أنشد القحطاني في مدح النبي ﷺ المدح والثناء عليه وعلى آله وخلفائه وصحابته:

فكأنما آل النبي وصحبه ... روح يضم جميعها جسدان
فئتان عقدهما شريعة أحمد ... بأبي وأمي ذانك الفئتان
فئتان سالكتان في سبل الهدى ... وهما بدين الله قائمتان
قل إن خير الأنبياء محمد ... وأجل من يمشي على الكثبان
وأجل صحب الرسل صحب محمد ... وكذاك أفضل صحبه العمران
رجلان قد خلقا لنصر محمد ... بدمي ونفسي ذانك الرجلان
فهما اللذان تظاهرا لنبينا ... في نصره وهما له صهران
بنتاهما[2] أسنى نساء نبينا ... وهما له بالوحي صاحبتان
أبواهما أسنى صحابة أحمد ... يا حبذا الأبوان والبنتان
وهما وزيراه اللذان هما هما ... لفضائل الأعمال مستبقان
وهما لأحمد ناظراه وسمعه ... وبقربه في القبر مضطجعان

---

(1) الصارم المسلول(ص580).

(2) يعني رحمه الله أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، وأم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

كانا على الإسلام أشفق أهله ... وهما لدين محمد جبلان

أصفاهما أقواهما أخشاهما ... أتقاهما في السر والإعلان

أسناهما أزكاهما أعلاهما ... أوفاهما في الوزن والرجحان

صديق أحمد صاحب الغار الذي ... هو في المغارة والنبي اثنان

أعني أبا بكر الذي لم يختلف ... من شرعنا في فضله رجلان

هو شيخ أصحاب النبي وخيرهم ... وإمامهم حقا بلا بطلان

وأبو المطهرة التي تنزيهها ... قد جاءنا في النور والفرقان

أكرم بعائشة الرضى من حرة ... بكر مطهرة الإزار حصان

هي زوج خير الأنبياء وبكره ... وعروسه من جملة النسوان

هي عرسه هي أنسه هي إلفه ... هي حبه صدقا بلا أدهان

أوليس والدها يصافي بعلها ... وهما بروح الله مؤتلفان

لما قضى صديق أحمد نحبه ... دفع الخلافة للإمام الثاني

أعني به الفاروق فرق عنوة ... بالسيف بين الكفر والإيمان

هو أظهر الإسلام بعد خفائه ... ومحا الظلام وباح بالكتمان

ومضى وخلى الأمر شورى بينهم ... في الأمر فاجتمعوا على عثمان

من كان يسهر ليلة في ركعة ... وترا فيكمل ختمة القرآن

ولي الخلافة صهر أحمد بعده ... أعني علي العالم الرباني

زوج البتول أخا الرسول وركنه ... ليث الحروب منازل الأقران

سبحان من جعل الخلافة رتبة ... وبنى الإمامة أيما بنيان

واستخلف الأصحاب كي لا يدعي ... من بعد أحمد في النبوة ثاني

أكرم بفاطمة البتول وبعلها ... وبمن هما لمحمد سبطان

غصنان أصلهما بروضة أحمد ... لله در الأصل والغصنان

أكرم بطلحة والزبير وسعدهم ... وسعيدهم وبعابد الرحمن

وأبي عبيـــدة ذي الديانـــة والتـــقى   وامـــدح جمـــاعة بيعـــة الرضـــوان
قـــل خـــير قـــول في صـــحابة أحمـــد   وامـــدح جميـــع الآل والنـــسوان
دع مـــا جـــرى بـــين الـــصحابة في الـــوغى   بـــسيوفهم يـــوم التـــقى الجمعـــان
فقتـــيلهم مـــنهم وقـــاتلهم لهـــم   وكلاهمـــا في الحـــشر مرحومـــان
والله يـــوم الحـــشر يـــنزع كل مـــا   تحـــوي صـــدورهم مـــن الأضـــغان
والويـــل للركـــب الذيـــن ســـعوا إلى   عثمـــان فـــاجتمعوا على العـــصيان
ويـــل لمـــن قتـــل الحـــسين فإنـــه   قـــد بـــاء مـــن مـــولاه بالخـــسران
لـــسنا نكفـــر مـــسلما بكبـــيرة   فـــالله ذو عفـــو وذو غفـــران[1]

وقال مُقَرِّرا اعتقاده في آل البيت والصحابة:

واحفـــظ لأهـــل البيـــت واجـــب حقهـــم   واعـــرف عليّـــا أيمـــا عرفـــان
لا تنتقـــصه ولا تـــزد في قـــدره   فعليـــه تَـــصْلَى النـــار طائفتـــان
إحداهمـــا لا ترتـــضيه خليفـــة   وتنـــصه الأخـــرى إلهـــا ثـــاني
والعـــن زنادقـــة الجهالـــة إنهـــم   أعنـــاقهم غلـــت إلى الأذقـــان
جحـــدوا الـــشرائع والنبـــوة واقتـــدوا   بفـــساد ملـــة صـــاحب الإيـــوان[2]
لا تـــركنن إلى الـــروافض إنهـــم   شـــتموا الـــصحابة دون مـــا برهـــان
لعنـــوا كمـــا بغـــضوا صـــحابة أحمـــد   ووداهـــم فـــرض على الإنـــسان
حُـــبُّ الـــصحابة والقرابـــة سُـــنة   ألـــقى بهـــا ربي إذا أحيـــاني
اِحْـــذَرْ عقـــابَ الله وَارْجُ ثوابَـــهُ   حـــتى تكـــون كمـــن له قلبـــان[3]

---

(1) نونية القحطاني(ص21ـ24).

(2) المقصود بصاحب الإيوان كسرى أنو شروان.

(3) نونية القحطاني(ص24ـ25).

وأنشد الإمام المقرئ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت444هـ)(1) في أرجوزته المسماة بالمنبهة:

إذا رأيت المرء قد أحبّا … أئمة الدين وعنهم ذبا
وفَضَّلَ الصحابةَ الأبرارا … وَقَدَّم الأصهارَ والأنصارا
وَأَبْغَضَ البدعي والمخالفا … ومن تَرَاهُ لهما مُخَالفا
فاعلم بأنه من أهل السنه … فالزمه واستمسك بما قد سنّه(2)

وقال:

وَحُبُّ أصحاب النبي فرضٌ … ومدحهم تزلف وقرضٌ
وأفضلُ الصحابة الصديقُ … وبعده المهذب الفاروقُ
وبعده عثمان ذو النورينِ … وبعده علي أبو السبطينِ
وبعدَ هؤلاء باقي العَشَرَه … الأتقياء المرتضيين البَرَرَهْ
أهل الخشوع والتقى والخوفِ … طلحةُ والزبيرُ وابن عوفِ
ثُمَّتَ سعدٌ بعدهم وعامرُ … ثم سعيدُ بن نفيلِ العاشرُ
وسائرُ الصّحب فهم أبرارُ … منتخبون سادة أخيارُ
وربنا جلَّ لَهُم إنعامَهْ … وخصّهم بالفضل والكرامهْ(3)

وأنشد أبو عبد الله محمد بن عيسى بن بن محمد بن أصبغ الأزدي المالكي المعروف بابن المناصف (ت620هـ)(4) في المعلم الرابع الخاص بالسيرة النبوية من أرجوزته الطويلة المسماة الدرة السنية في المعالم السنية:

---

(1) انظر ترجمته في: جذوة المقتبس (ص287)، وسير أعلام النبلاء (18/ 7).

(2) منبهة الإمام المقرئ أبي عمرو الداني (ص540، 543).

(3) الأرجوزة المنبهة (ص556ـ558).

(4) انظر ترجمته في الذيل والتكملة لابن عبدالملك (8/ ق1/ 345)، والأعلام للزركلي (6/ 322).

وفرقـــــة معروفـــــة بالرافـــــضة صـنف مـن الـشيعة حـيرى خائـضة
قـــوم تـــبرؤا مـــن الـــصحابة وأوســـعوا في الـــسبّ والمعابـــة
وكفـــروا هنـــاك بعـــض الـــسلف وطعنـــوا في فـــضلهم والـــشرف
وربمـــــا مـــــالوا للاعـــــتزال في بعـض مـا لهـم مـن الأقـوال
قـالوا لزيـد بـن علي بـن الحـسين نجـل علي المعـتلي عـن كل شـين
اشـــتم أبـــابكر وأيـــضاً عمـــرا فلـم يطعهـم حـين جـاؤوا نكـراً
فرفـــــضوه فلذلـــــك نـــــسبوا رافـــضة ثـــم اســـتمر اللقـــب[1]

وأنشد أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمـار الكلاعي، من أهل ميورقة(من علمـاء التوحيد والكلام البارزين في القرن الخامس الهجري)[2]، في وصيته:

وأَبْغِـــضْ كل مبتـــدع كفـــور كمثـــل الرافـــضين الكافرينـــا
ألا إنَّ الـــــرَّوَافِضَ شَرُّ خَلْـــــقٍ وأكـــذبُ مـــن يهـــود الكاذبينـــا
ضـــــلالتهم وكفـــــرهم شـــــنيعٌ وبعـــدهم الـــكلابُ الخارجينـــا
همـــا طرفـــان في كفـــر وسَـــبٍّ وهـــم ســـبوا الـــصحابة مُعلنينـــا
وقـــد قـــالَ الرســـولُ كلامَ صـــدقٍ صِـــحَابي كالنجـــوم لمقتـــدينا
ومـــا ضَرَّ النجـــوم نُبَـــاحُ كلـــبٍ فـــسُحْقاً للـــكلابِ النَّابِحِينَـــا
تـــسمي الـــسيف للإســـلام جِبْتـــاً فأنـــضى الله سَـــيْفَ المـــسلمينا
فقنعـــــه بـــــه عمـــــا قريـــــب فَيَـــشْفِ صُـــدُورَ قـــومٍ مُؤْمِنِينَـــا

---

(1) الدرة السنية (ق14) مخطوط.

(2) قال عياض: كان من أهل العلم والفهم، ورحل فلقي بقية مشيخة القيروان، ولقي شـيوخ مـصر، ومـن كان بمكة، وغلب عليه علم التوحيد والكلام فيه؛ وألف في ذلك كتاب الإعلام، وكان حسن العبـارة، جيد القريحة. انظر ترجمته في ترتيب المدارك(8/ 159).

إلـــهي طَهِّـــرِ الحـــرمين مـــنهم ومـــصر الأرض مـــن متمجـــسينا
وأورثنـــا ديـــار القـــوم حـــتى نكـــون بهـــا بجـــودك قاطنينـــا
وغـــيرهم مـــن الهـــواء جَنِّـــبْ فبـــدعتهم تـــصُمُّ الـــسامعينا
فبُغـــضهم ولعنـــتهم أكيـــدٌ أجـــلُّ وســـيلةِ المتوســـلينا(1)

وقد جاء في ختام نظمه:

كتبـــت وصـــيتي نظمـــا ووعظـــا وذكـــرى تنفـــع المتـــذكرينا
ولـــم أَكُ شـــاعراً لكـــن نفـــسي تَـــنْظِمُ مـــا رأت للناثرينـــا(2)

إلى أن قال:

وأخـــتم بالـــصلاة على نـــبي سَمـــاهُ الله فـــوق المرســـلينا
عليـــه صـــلاة ربي ذي الجـــلالِ كمثـــلِ الرَّمْـــلِ تـــتْرا كلَّ حِينَـــا(3)

وأبو العباس أحمد بن محمد المقّري التلمساني(ت1041هـ)(4) في منظومته إضاءة الدُّجُنَّة في اعتقاد أهل السنة:

وأفـــضلُ الأمـــة ذات القَـــدْرِ أصـحابُ مـن أُعطـي شَرْحَ الـصَّدْرِ
إذ جـاء في القـرآن مـا يَقْـضِي لهـمْ بالـــسَّبْقِ في آيٍ حَـــوَتْ تفـــضيلهمْ

(1) وصية محمد بن موسى الشهير بابن عمار الكلاعي الميورقي لابنه(ص87).
(2) نفسه (ص88).
(3) نفسه (ص89).
(4) انظر ترجمته في: التقاط الدرر للقادري(ص94ـ95)، خلاصة الأثر للمحبي(1/ 320)، وصفوة من انتشر للإفراني(ص143).

وكــــم أحاديـــثَ علـــيهمْ تُثْــــنَى ... كقـــوله خـــير القـــرون قَــرْني
وقـــول طـــه المـــصطفى لـــو أنفقـــا ... فجــــلّ مــــن زكّاهــــم ووفقّـــا
ثـــم يلـــيهم تـــابع بـــادى الـــسَّنَا ... فتـــابع لتـــابع قـــد أحـــسنا
والخلفـــاء الراشـــدون الأربعـــهْ ... خـــيرُ الـــصحابة الأُلَى كانـــوا معـــهْ
ورَتِّـــبَنّ الفـــضل فيمـــا بيـــنهمْ ... على خلافـــة وقَـــدِّمْ عَيْـــنَهُمْ
وهْـــوَ أبـــو بكـــر وفـــاروقٌ يـــلي ... وبعـــد عثمـــانُ واختـــم بعـــلي
زوجُ البتـــولِ بُـــضْعَةِ الرســـولِ ... مـــن نـــال بالـــسبطين أقـــصى الـــسُّولِ
وبعـــد هـــؤلاء بـــاقي العـــشرهْ ... طلحـــةٌ والـــزبيرُ زاكِي النَّـــشْرَهْ
وعامـــرٌ وســـعدٌ الـــسامي الحُـــلَى ... مـــع ابـــن عـــوفٍ وســـعيدٍ ذي العُـــلاَ
فأهـــلُ بـــدرٍ ثُـــمَّ أهـــلُ أُحُـــدِ ... فبيعـــةِ الرِّضـــوانِ بعـــدهُ اعْـــدُدِ
والـــسابقون الأولـــون صُرِّحَـــا ... بفـــضلهمْ والخُلْـــف فـــيهمْ سُرِّحَـــا
وبعـــضُ مـــن بـــالعلم قـــد تحـــلّى ... يقـــول مـــن للقبلتـــين صـــلّى
والـــصَّحْبُ كلهـــم عُـــدُولٌ خِـــيَرَهْ ... فمـــن يُـــرِدْ وَجْـــهَ اهتـــدا بهـــم يَـــرَهْ
لأنَّ مـــن أحـــاط بـــالخبيِّ ... علمـــا حَبَـــاهُمْ صـــحبة النـــبيّ
فهـــم نجـــومٌ في الـــسُّرَى مـــن اقْتَـــدَى ... بهـــمْ إلى معـــالم الحـــقِّ اهْتَـــدَى
فـــلا تَخُـــضْ فيمـــا مـــن الأمـــرِ اخْـــتَلَطْ ... بيـــنهمْ واحْـــذَرْ إذا خُـــضْتَ الغَلَـــطْ
والتمـــسَنَّ أحـــسنَ المخـــارج ... لهـــم فالاجتهـــاد ذو معـــارجْ[1]

---

(1) إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة (ص95 ـ 98).

المبحث الثالث: التعريف بقصيدة أبي عمران الأندلسي الواعظ في مناقب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

أ ـ نشراتها ونسخها الخطية:

نُشرت قصيدة أبي عمران الواعظ في مناقب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لأول مرة بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني في كتابه «عائشة والسياسة»، المنشور بدار الفكر ببيروت عام1947م، وكان رحمه الله قد اعتمد في نشرها على نسخة خطية وحيدة في ملك السادة آل عبيد أصحاب المكتبة العربية بدمشق تعود حسب تقدير الأستاذ أحمد عبيد إلى القرن الثامن الهجري. ثم نشرها الأستاذ عبد الله كنون رحمه الله في مجلة المناهل الصادرة عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بالرباط ـ المملكة المغربية، وذلك في العدد السادس(رجب 1396هـ/ 1976م)، واعتمد رحمه الله في تحقيقها على أربع نسخ خطية؛ منها نسخة المكتبة الكنونية، وهي بخط مغربي جميل، وتغلب عليها الصحة، وباقي النسخ من المكتبة العامة بتطوان، وهي التي تقع ضمن مجاميع تحمل الأرقام:(656 ، 830، 60/ 5).

ثم نُشرت مرة ثالثة منسوبة على سبيل الوهم إلى أبي الخير الجزري بتحقيق الدكتور عبدالله الحجيلي في ملحق التراث بجريدة المدينة ـ السعودية، (العدد: 11364)، اعتمادا على نسخة فريدة محفوظة بخزانة عارف حكمت بالمدينة المنورة، وقد وقع في هذه النشرة زيادة ثمانية وعشرين بيتا على نشرة الأستاذ عبدالله كنون، وكنت أشرت إلى ذلك مع تنبيهات وملاحظات في مقال نشرته في ملحق التراث بجريدة المدينة (العدد: 11595 بتاريخ29 ديسمبر1994م) بعنوان: القصيدة ما تزال بحاجة إلى تحقيق ودراسة، وقد ناديت في ختامه أهل العلم والأدب أن يتصدوا إلى جمع نسخها الخطية وتحقيقها تحقيقا علميا دقيقا، فظهرت بعد ذلك ـ ولله الحمد والمنة ـ في نشرتين:

➢ الأولى بعنوان: قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها، تحقيق: أخينا الأستاذ الدكتور فهد الرومي، نشر مكتبة التوبة بالرياض(1418هـ ـ 1998م)، واعتمد الدكتور فهد الرومي في تحقيقه على ثلاث نسخ خطية هي التي سبق أن اعتمدها الأستاذ عبدالله كنون في تحقيقه، وهي النسخ المحفوظة بالخزانة العامة بتطوان ضمن مجاميع تحمل الأرقام: (60م ـ 656م ـ 830م/ 7).

➢ والثانية بعنوان: القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنه، اعتنى بها صديقنا العزيز الأستاذ العلامة نظام محمد صالح يعقوبي، سلسلة: لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام برقم:33، نشر دار البشائر الإسلامية ببيروت(1423هـ ـ 2002م)، وكان معتمد الأستاذ اليعقوبي على نسختين خطيتين، الأولى بالمكتبة البريطانية بلندن برقم: or 5509، ضمن مجموع مؤرخة سنة776هـ، والنسخة الثانية محفوظة بالمكتبة البودلية بأكسفورد بلندن أيضا ضمن مجموع برقم:marsh 493، نسخها يونس ابن ملاج الحسني الحنفي.

أما نسخها الخطية فكثيرة أذكر منها بعض النسخ التي لم تعتمد في النشرات المشار إليها آنفا:

➢ نسخة جامعة برنستون برقم:95 مجموعة جاريت ضمن مجموع من الورقة12 إلى14 وبذيلها إجازة بروايتها مع ذكر أسانيدها وسماعاتها.

➢ نسخة بمكتبة البلدية بالإسكندرية برقم:2190.

➢ أربع نسخ خطية محفوظة ضمن مجاميع بالخزانة الملكية بالرباط تحمل الأرقام: (1586 ـ 12241 ـ 12245 ـ 13681).

ب . موضوعها:

تقع هذه القصيدة في ستة وخمسين بيتا، وهي كما قال العلامة سيدي عبد الله كنون رحمه الله: «قصيدة من أروع الشعر وأبدعه، في مناقب أم المؤمنين عائشة»، اشتملت على ذكر فضائلها، وفضائل والدها أبي بكر الصديق، ومجادلة الخصوم المبغضين لها المتقولين عليها، ومحاجتهم بالدليل من الكتاب والسنة في إيمان صادق، ودفاع حار، وبالواقع التأريخي الذي لا نزاع فيه من سيرتها العطرة وسيرة أبيها الخليفة الأول رضوان الله عليه، وكل ذلك بأسلوب بارع، وبيان رفيع، ونظم محكم متين ، وإلى هذا وبقطع النظر عن كل اعتبار، فالقصيدة تعبر عن عاطفة إنسانية رفيعة؛ لأنها تتخذ موقف المساندة بجنب سيدة شريفة أثناء أزمة هي أعنف أزمة تمر بها امرأة في حياتها، فتنافح عنها وعن كرامتها، حتى تحتفظ لها بسمعتها الطيبة وذكرها الجميل.

ومما أبرّ به صاحب هذه القصيدة أنه جعلها على لسان السيدة عائشة نفسها، فبعد المطلع الذي يوذن بمقصوده تخلص في البيت الثاني إلى إعطائها الكلمة، فجعلها هي التي تناظر وتفاخر وتدفع في نحور الأعداء بسلاح الحجة والبرهان الذي يطوقهم الخزي والعار، فلو أنها رضي الله عنها نطقت فعلاً بشعر في الموضوع لما زادت على ما احتوته هذه القصيدة، وهي من هي قوة بيان، وشدة عارضة.

وهذا مما يدل على بلاغة مُنْشِئِهَا، وَمَقْدُرَتِهِ البيانية، وتمكنه من صناعة الشعر، فضلاً عن رسوخ قدمه في المعرفة بعلم الحديث والسيرة النبوية والتاريخ وسائر العلوم الإسلامية»[1].

---

(1) مجلة المناهل: العدد السادس (ص25-26).

ويَرُومُ أبو عمران الأندلسي الواعظ في هذه القصيدة تبكيت الرافضة الذين ينبزون الصحابة، ومنهم أمهات المؤمنين، وليس هو الوحيد في إعلانه الدفاع عن أم المؤمنين عائشة، بل شاركه في ذلك سائر علماء أهل السنة والجماعة الذين تنوعت أساليب مجابهتهم لطعون الرافضة، فنجد علماء الحديث النبوي يذكرون ما ورد من الأحاديث في فضلها في الكتب التي أفردوها لذكر فضائل الصحابة أو تلك التي ضمّنوها دواوينهم الحديثية، كما نجدهم يُقررون وجوب توقيرها والاعتراف بفضلها، ويُشددون في حكم من تعرض لها بطعن أو من سب، وقد ساق الإمام أبو بكر ابن العربي المعافري(ت543هـ) في كتابه أحكام القرآن حكم الإمام مالك فيمن سبّ عائشة فقال:»قال هشام بن عمار: سمعت مالك يقول: من سبّ أبا بكر وعمر أُدِّب، ومن سَبَّ عائشة قُتِل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، فمن سبّ عائشة فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قُتل، وقال: «إن أهل الإفك رَمَوْا عائشة المطهرة بالفاحشة فَبَرَّأَهَا الله، فكل من سبّها مما برأها الله منه فهو مُكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر»، ثم قال أبو بكر ابن العربي: «فهذا طريق قول مالك، وهي سبيل لائحة لأهل البصائر، ولو أن رجلاً سبّ عائشة بغير ما برّأها الله منه لكان جزاؤه الأدب»[2] .

وقريبٌ مما ذكره ابن العربي نجده عند معاصره الإمام الكبير القاضي عياض رحمه الله(ت544هـ) في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى؛ إذ نقل عن الإمام مالك قوله: «من سبّ عائشة رضي الله عنها قُتل، قيل له: لم، قال: من رَماهَا فقد خالف القرآن؛ لأن الله يقول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم

(1) سورة النور: الآية 17.

(2) أحكام القرآن لابن العربي(3/ 1356).

مُّومِنِينَ﴾، فمن عاد لمثله فقد كفر»[1]، ثم حكى رحمه الله أن رجلا شتم عائشة بالكوفة فَقُدِّمَ إلى موسى بن عيسى العبّاسي فقال: من حضر هذا، فقال ابن أبي ليلى: أنا، فجلد ثمانين وحُلِقَ رأسه وأسلمه للحجامين[2].

ويُؤَكِّدُ شدّة الإمام مالك رحمه الله في الحكم على شاتمي الصحابة رضي الله عنهم اعتقاده بأن لا نصيب لهم من الإسلام، فقد روى الخلاّل عن أبي بكر المروذي قال: سمعت أبا عبد الله يقول، قال مالك: الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس لهم اسم، أو قال: نصيب في الإسلام[3].

وصفوة القول أن هذه القصيدة قد صاغها أبو عمران الواعظ على لسان أم المؤمنين عائشة في قالب بديع منظوم، جمع بين جمال السبك، وإتقان الرصف؛ وكأنها هي التي تنشد وتتحدث عن مناقبها وفضائلها، ومن أهم ما أورده أبو عمران الواعظ على لسانها من مناقبها وفضائلها ما يأتي:

- أن جبريل عليه السلام جاء بصورتها إلى الرسول ﷺ ليتزوجها، فأحبها وتزوج بها.
- أن النبي ﷺ تزوج بها وهي بكر، ولم يتزوج بكرا غيرها.
- أن الوحي كان يأتي النبي ﷺ وهو في بيتها، بل رأت نور جبريل وهي مع النبي ﷺ في لحاف واحد.
- أن الله أنزل في براءتها قرآنا يتلى إلى يوم القيامة.

---

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 309).
(2) نفسه (2/ 310).
(3) السنة للخلال (2 / 557).

- أن النبي ﷺ قبض في بيتها وفي يومها الذي يدور عليها فيه، وبين سحرها ونحرها.
- أنها نشأت في الإسلام وأنها بِنت خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق.

ولم يكتف أبو عمران بذكر فضائل عائشة، بل استطرد في أبيات كثيرة مبينا خطورة بغضها وسبها والنيل منها كما هو ديدن الرافضة، وأفاض في بيان منزلة والدها أبي بكر الصديق ومكانته في الإسلام، كما أشار إلى بعض فضائل الصحابة، وما كان يجري بينهم من المودة والرحمة، وأنه يجب محبتهم وتوقيرهم واجتناب بغضهم وسبهم. ومما يجب التنبيه إليه أن جلّ ما أورده أبو عمران في هذه القصيدة الرائعة من فضائل أم المؤمنين عائشة هو في حقيقته مقتبس من نصوص قرآنية وحديثية لا يسع المجال بإيرادها، ويكفي أم المؤمنين عائشة فضلا وشرفا قول الرسول ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[1]، وقد عرف الصحابة رضي الله عنهم فضلها وشدة محبة النبي ﷺ لها، فحينما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأمهات المؤمنين عشرة آلاف، عشرة آلاف، زاد عائشة ألفين، وقال: إنها حبيبة رسول الله ﷺ[2]، وحينما كانت رضي الله عنها في فراش الموت دخل عليها عبد الله بن عباس فسلم وجلس وقال: أبشري يا أم المؤمنين، فوالله ما بينك وبين أن يذهب عنك كل أذى ونصب، أو قال: وصب، وتلقي الأحبة محمدا وحزبه، أو قال: أصحابه؛ إلا أن تفارق روحك جسدك فقالت: وأيضا، فقال ابن عباس: كنت أَحَبَّ أزواج رسول الله

(1) صحيح البخاري(4/ 220).

(2) سير أعلام النبلاء(2/ 187).

ﷺ إليه، ولم يكن يحب إلا طيبا، وأنزل الله عز وجل براءتك من فوق سبع سماوات فليس في الأرض مسجد إلا وهو يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار، وسقطت قلادتك في الأبواء فاحتبس النبي ﷺ في المنزل والناس معه في ابتغائها أو قال: في طلبها حتى أصبح القوم على غير ماء، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً﴾ الآية، وكان في ذلك رخصة للناس عامة في سببك.. فوالله إنك مباركة، فقالت: دعني يا ابن عباس من هذا فوالله لوددت أني كنت نسيا منسيا»[1].

وكانت وفاتها رضي الله عنها في الليلة السابعة عشرة من رمضان سنة 57هـ بعد الوتر، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه وأمرت أن تدفن من ليلتها، ودفنت بالبقيع وعمرها ثلاثة وستون سنة وستة أشهر[2].

ومهما يكن من أمر، ففضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كثيرة يمكن تتبعها من خلال دواوين السنة النبوية، لكن أبا عمران الواعظ في هذه القصيدة أجاد في اقتباس أهم تلك الفضائل، وأتقن سبكها، فصارت قصيدته فريدة في فنها، فائقة في حسنها، يطرب بسماعها الثكلان، وينشط لقراءتها الكسلان، كأن نظمها السكر المذاب، أو رشف الثنايا العذاب، تدخل الأذن بلا إذن لخلوها عن التعقيد وفصاحتها، ويرشفها الذهن لصناعتها ونصاعتها[3].

(1) أخرجه أحمد في مسنده(1/ 349)، والحاكم في المستدرك(4/ 8ـ9) وصححه ووافقه الذهبي.

(2) سير أعلام النبلاء(2/ 192ـ193).

(3) اقتبست هذه العبارات من كلام الإمام محمد عبدالرؤوف المناوي عن ألفية السيرة للحافظ العراقي.

ج . اشتهارها عند العلماء:

ذكرها الحافظ أبو طاهر السلفي في كتابه معجم السفر وأورد أبياتا منها[1]، كما أوردها العياشي في رحلته[2]، ورواها ابن حجر في المجمع المؤسس والمعجم المفهرس[3]، ورواها أيضا القلقشندي في ثبته[4].

د ـ التعريف بناظمها وذكر قصته مع الأمير الأفضل الجمالي:

طال الإهمال صاحب هذه القصيدة الإمام أبا عمران موسى بن محمد بن عبدالله الواعظ الأندلسي، إذ لم يعرف به في معظم نشرات القصيدة، فالأستاذ عبد الله كنون نبّه إلى عدم وقوفه على ترجمته، واكتفى بإيراد إشارات يسيرة تفيد في التعرف على بلده وعصره، مثل كونه رحل إلى مصر وأنشد القصيدة في عصر الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي وأنه أجازه عليها بمائة دينار[5]. بينما نجد الدكتور عبد الله الحجيلي يهم في نشرته وينسب القصيدة لأبي الخير الجزري، متابعا في ذلك ما ورد في النسخة الخطية الوحيدة التي اعتمدها[6].

---

(1) معجم السفر(ص191ـ192).

(2) الرحلة العياشية(2/ 168ـ169).

(3) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس(2/ 130)، والمعجم المفهرس(ص415).

(4) ثبت القلقشندي(ق1/ ب) نسخة خزانة عارف حكمت الموجودة ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة برقم:365.

(5) مجلة المناهل، العدد السادس(ص26ـ28).

(6) وهي نسخة محفوظة بخزانة عارف حكمت بالمدينة المنورة، وقد ظهرت نشرته على صفحات ملحق التراث بجريدة المدينة العدد11364 سنة 1994م، ونشر في الملحق المذكور مجموعة من المقالات في التعقيب على الدكتور الحجيلي وتصحيح نسبة القصيدة، لكن لم يرد فيها أيضا ما يكفي في التعريف بناظمها.

أما الدكتور فهد الرومي في تقديمه للقصيدة فأكّد ما ذكره الأستاذ عبد الله كنون من إفادات وإشارت تتعلق بناظم القصيدة، وصرّح هو الآخر بعدم وقوفه على ترجمته فقال: «ولم أجد له ترجمة أو ذكرا فيما رجعت إليه من كتب التراجم والتاريخ سواء كانت عند المشارقة أو المغاربة»[1]، ثم قال: «ولعلّ أحد الباحثين يكشف لنا عن ترجمة وافية لحياته رحمه الله تعالى»[2]، وكأن الدكتور فهد الرومي يعنيني بذلك ـ جزاه الله خيرا ـ إذ جمعني به لقاء علمي تحدثنا فيه كثيرا عن هذه القصيدة، وقد رأيته أفصح عنه في تعليق له بموقع تفسير على الشبكة العنكبوتية إذ قال حفظه الله: «وقد التقيت بالباحث... عبد اللطيف الجيلاني ... وأفادني كثيرا عن هذه القصيدة وما دار حولها وحول نسبتها من حوار طويل في حلقات كثيرة في جريدة المدينة المنورة، وكم أتمنى أن يقوم بتحقيقها ونشرها فالقصيدة لم تأخذ حقها من الاهتمام والنشر»[3].

وإذا استقرأنا مصادر التراجم فسنجد أخبار صاحب هذه القصيدة متفرقة هنا وهناك، وأنه من أهل المرية بالأندلس، وأنه نزل في أواخر القرن الخامس الهجري بمصر، وتولى الإمامة، وكان ضريرا، مقرئا حسن الصوت، معدودا في أهل العلم والأدب، وله في الزهد وغيره أشعار حملت عنه، وله مخمسة في صفة أعمال الحج، ومن أوضاعه قصيدته في مناقب أم المؤمنين عائشة التي ذاعت وشاعت وأخذها الناس عنه بسبب امتحانه بسببها ونفيه بأمر من أمير مصر إلى ضاحيتها بالجيزة، وقد كان التشيع هو الغالب على أهل مصر في عصر الفاطميين، لكن شاء الله عز وجل أن يخرج

(1) قصيدة الواعظ الأندلسي، تحقيق: فهد الرومي (ص37).

(2) نفسه (ص40).

(3) انظر موقع: www.tafsir.net، وما جاء في كلام الدكتور فهد الرومي المذكور يشف عن أمانة وتواضع وإخلاص في خدمة العلم أسال الله أن ينفعه بذلك، ولعلي أُحَقِّقُ بإذن الله تعالى أُمنيته إذا توفرت لي الأسباب لجمع نسخ القصيدة المتفرقة في خزائن شتى، لاسيما النسخ الجيدة التي لم تعتمد في النشرات السالفة.

أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجمالي(ت515هـ)[1] يوما من الأيام إلى الجيزة فالتقى به في مسجده فتعرف عليه وأخبره بقصته، وطلب منه أن يقرأ عليه شيئا من القرآن فقرأ عليه فطرب الأمير لجمال صوته وحسن قراءته، وبكى بكاء شديدا، ثم طلب منه أن ينشده القصيدة التي أخرج من مصر بسببها فأنشده إياها، فلما وصل الأمير إلى مصر أمر واليه أن يمضي إليه ويأتي به إلى مصر، ويسأله الدعاء، وأرسل إليه بدنانير كثيرة وكسوة، وفي بعض السماعات المثبتة على إحدى نسخ قصيدته أنه أجازه عليها جائزة سنية بلغت مائة دينار.

ويبدو أن أبا عمران الواعظ قد عاش إلى أواخر القرن الخامس إذ ورد ما يدل على أنه كان حيا سنة496هـ، ويجوز أنه عاش السنوات الأولى من القرن السادس الهجري، وقبره بقرافة مصر ظاهر معروف.

وفيما يلي أسوق ما ذكرته بعض المصادر في التعريف به:

ترجمه ابن الأبار في كتابه التكملة لكتاب الصلة فقال: «موسى بن بهيج المغربي الواعظ أندلسي من أهل المرية، نزل مصر، يكنى أبا عمران، كان من أهل العلم والأدب، وله في الزهد وغيره أشعار حُمِلَت عنه، ذكره ابن خير، وحدث عن أبي جعفر ابن زيدون، عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عباس المرشاني عنه بمخمسته في الحج

---

(1) مدبر دولة الفاطميين بمصر، تولى الأمر والحكم أيام المستنصر سنة487هـ وجميع أيام المستعلي وبعض أيام الآمر، قال أبو الحسن ابن الأثير: كان الإسماعيلية يكرهونه لأسباب منها تضييعه على إمامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم، ومنها تركه معارضة أهل السنة في اعتقادهم، والنهي عن معارضتهم وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد مصر، وكان حسن السيرة عادلا. وقال ابن كثير: وكان عادلا حسن السيرة، موصوفا بجودة السريرة، قتل رحمه الله سنة515هـ بعد أن تولى ثمانية وعشرين سنة. الكامل في التاريخ(9/ 207ـ208)، وسير أعلام النبلاء(19/ 507)، والبداية والنهاية(16/ 253).

وأعمـاله كلها، لقيه بمـصر وقرأهـا عليـه في سـنة سـت وتـسعين وأربعمـائة، وكـان أبوعمر المعروف بابن يَمْنَالَش الزاهد ينشد لابن بهيج:

إنـمـــا دنيـــاك ســـاعة فاجعـــل الـــساعة طاعـــة

واحـــذر التقـــصير فيهـــا واجتهـــد مـــا قـــدر ســـاعة

وإذا أحببـــــت عـــــزا فـــالتمس عـــز القناعـــة»[1]

ومـا نقله ابن الأبار من رواية ابن خير لمخمسته في صفة الحج وأعمـاله ثابت في فهرسة مـا رواه عن شيوخه، قال ابن خير: «مـخمسة الشيخ الواعظ المقرئ أبي عمران بن بهـيج الأندلسي في صفة الحج وأعمـاله كلها؛ وقطعة شعر لامية أيضا في الزهد أولها:

كم تـحسنت أو حسنت المعال

وهي اثنا عشر بيتا؛ حدثني بهمـا الشيخ الـوزير أبـو جعفـر عبـد الله بـن محمـد بـن زيدون المخزومي رحمه الله، مناولة لي قال: حدثني بهمـا الحاج الإمـام أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عياش العبدري المرشاني رحمه الله قراءة عليه، عن قائلهمـا أبي عمـران بـن بهيج رحـمه الله قراءة عليه، لقيه بمصر سنة496»[2].

وذكر موفق الدين بن عثمـان(من علمـاء القرن السابع الهجري) قبره ضمن قبـور العلمـاء الصالحين المعروفة بمصر وعرف به وذكر قصيدته في مناقب أم المؤمنين عائشة ومـا جرى بينه وبين الأمير بشأنها فقال رحمه الله:«قـبر الـشيخ أبي عمـران موسـى بـن محمد الأندلسي: وتخرج من باب تربة ذي النون تجد على يمينك قبر الـشيخ أبي عمـران موسى بن محمد الأندلسي الواعظ الضرير رحمه الله، كان من كبار المشايخ، جـــمع بـين

(1) التكملة(2/ 175).

(2) فهرسة مـا رواه عن شيوخه لابن خير الإشبيلي (ص413).

العلم والورع، وله مصنفات في عدة فنون، وكان له مجلس وعظ، وقصائد في الزهد، وغير ذلك.

وكان قد صنف قصيدة في فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها منها هذه الأبيات:

مـا شَـانُ أُمِّ المـؤمنين وشَـاني ... هُـدي المُحِـبُّ لها وضَـلَّ الشَّاني
إنِّي أقـول مُبَيِّنـاً عـن فَـضْلِها ... ومُتَرجِمـا عـن قوْلها بلِسَاني
يـا مُبْغـضي لا تَـأْت قَـبْرَ محمَّـدٍ ... فالبَيْـتُ بيـتي والمَـكانُ مَـكاني

وكان ذلك في زمن أمير الجيوش شاهنشاه بن بدر الجمالي فوُشي إليه بذلك، فأمر بحمله مسحوبا على وجهه، فقال له بعض جلسائه: هذا رجل ضرير البصر، ضعيف القوى، لا يستطيع النهوض مع كبر سنه، فقال: يُحمل إلى الجيزة ولا يسكن مصر، فحُمِلَ إليها.

واتفق في بعض الأيام أن أمير الجيوش ركب يوما إلى الجيزة، فدخل مسجدا فوجد فيه موسى الأندلسي الواعظ المذكور جالسا في محرابه، فصلى ركعتين، ثم التفت إليه وسأله عن حاله، فأخبره بقصته فقال له: تقرأ شيئا من القرآن؟ قال: نعم. قال: اقرأ، فقرأ، فأعجبته قراءته، فبكى بكاء شديدا لحسن صوته، فقال له: أنشدني القصيدة التي أُخرجت من مصر لأجلها، فأنشده إياها، فأمره بتكرارها، فأعادها، فقال له: يا شيخ، بالله عليك لا تَدْعُ على السلطان، فإنه ما علم بحقيقة حالك، وأنا أحد غلمانه، ولا بدّ من ذكرك له، فطَيِّبْ قلبك، واشرح صدرك وادع له، ثم خرج من عنده، فتبادر الناس إليه وقالوا: أتعرف من كان عندك؟ قال: لا، قالوا: أمير الجيوش، فإياك أن تكون تكلمت معه بشيء يؤذيك؟ قال: لا والله، وبقي خائفا، فلما وصل أمير الجيوش إلى مصر أمر واليها أن يمضي إليه ويأتي به إلى مصر ويسأله الدعاء، وأرسل إليه بدنانير

كثيرة وكسوة، فحُمِلَ رضي الله عنه مكرما، ولم يزل يعظ الناس ويتكلم على منبره إلى أن مات رحمه الله تعالى»[1].

ومن شعره ما أورده عنه الحافظ أبو طاهر السلفي في معجم السفر فقال: «حدثني أبو محمد عبد الله بن محمد بن ملوك التنوخي الفليشي بالإسكندرية بعد رجوعه من مكة ـ وفليش قرية من قرى لُرْقَة بشرق الأندلس ـ قال: غاب أبو عمران الفليشي موسى بن محمد بن بهيج الكفيف المربي عن عشائره مدة بالمشرق فعمل بمصر موشحا أوله:

يا منجمينا ... هل للغريب سبيلْ
نحو الظاعنينا ... فالقلب منه عليلْ
لا يُلْفي مُعِينا ... إلا دموعا تسيلْ
ويُجْرِيها هَتُونا ... من جفنه ويُدِيلْ

ومنه:

حكى نَوْحَ المستهامِ ... مما به من غرامِ
نوحا كنوح الحمامِ ... على ذُرَى الآكامِ
غدا يُجْرَى بانسجامِ ... دمعاً كصوب الغمامِ
يشكو لكل الأنامِ ... ما بالحشَا من كلامِ[2]

(1) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار المسمى الدر المنظم في زيارة الجبل المقطم لموفق الدين بن عثمان(1/ 387ـ389)، وتابعه فيما ذكره ـ مع قليل من الاختصار والتصرف ـ أبو عبد الله محمد بن ناصر الأنصاري المعروف بابن الزيات(ت814هـ) في كتابه الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة(ص236ـ237).

(2) معجم السفر(ص132).

هـ . نصّها:

هذا نص القصيدة كما جاء في نشرة الأستاذ نظام محمد صالح يعقوبي(1):

مَا شَانُ أُمِّ المؤمنين وشَاني ... هُدي المُحِبُّ لها وضَلَّ الشَّاني
إنِّي أقول مُبَيِّناً عن فَضْلِها ... ومُتَرجِماً عن قولِها بلِسَاني
يا مُبْغضي لا تَأْتِ قَبْرَ محمَّدٍ ... فالبَيْتُ بيتي والمَكانُ مَكاني
إنِّي خُصِصْتُ على نِساءِ مُحَمَّدٍ ... بِصِفاتِ بِرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعاني
وَسَبَقْتُهُن إلى الفَضَائِل كُلَّها ... فالسَّبْقُ سَبقي والعِنَانُ عِنَاني
مَرِضَ النَّبِيُّ وَماتَ بين تَرَائِبِي ... فاليَوْمُ يَوْمي والزَّمانُ زَماني
زَوْجي رَسُولُ الله لَمْ أرَ غَيْرَهُ ... اللهُ زَوَّجَني بهِ وحَبَاني
وأتاهُ جِبريلُ الأمينُ بِصُورتي ... فَأحَبَّني المُخْتَارُ حِينَ رَآني
أنا بِكْرُه العَذْراءُ عِنْدي سِرُّهُ ... وضَجيعُهُ في مَنْزِلي قَمَرانِ
وَتَكَلَّمَ الله العظيمُ بِحُجَّتي ... وَبَرَاءَتي في مُحْكَمِ القُرآنِ
وَالله خَفَّرَني وَعَظَّمَ حُرْمَتي ... وعلى لِسَانِ نَبِيِّهِ بَرَّاني
والله في القُرآنِ قد لَعَنَ الذي ... بَعْدَ البَرَاءَةِ بالقَبيح رَماني
والله وَبَّخَ مَنْ أرَادَ تَنَقُّصي ... إفْكاً وسَبَّحَ نَفْسَهُ في شاني
إنّي لمُحْصَنَةُ الإزارِ بَريئَةٌ ... ودليلُ حُسْنِ طَهَارتي إحْصاني
والله أحْصَنَني بخاتِمِ رُسْلِه ... وَأذَلَّ أهْلَ الإفْكِ والبُهتانِ
وسَمِعْتُ وَحْيَ الله عِنْدَ مُحَمَّدٍ ... مِن جِبَرَئِيلَ ونُورُه يَغْشاني
أوْحَى إلَيْهِ وَكُنْتُ تحتَ ثِيابِهِ ... فَحَنَا عليَّ بِثَوْبِهِ وخَبَّاني

(1) القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، بعناية نظام يعقوبي(ص42-45).

مَـنْ ذَا يُفَـاخِرُني وينْكِـرُ صُـحْبَتي وَمُحَمَّـدٌ في حِجْـرِهِ رَبَّـاني؟
وأَخَـذتُ عـن أَبَـوَيَّ ديـنَ مُحَمَّـدٍ وَهُمـا على الإِسْـلامِ مُـصْطَحِبَانِ
وأبي أَقَـامَ الدِّيـن بَعْـدَ مُحَمَّـدٍ فَالنَّـصْلُ نـصْلي والـسِّنَان سِـناني
والفَخْـرُ فَخْـرِي والخِلَافَـةُ في أبي حَـسْبي بِهَـذَا مَفْخَـراً وَكَفـاني
وأنـا ابْنَـةُ الـصِّدِّيقِ صَـاحِبِ أَحْمَـدٍ وحَبِيبِـهِ في الـسِّرِّ والإِعـلانِ
نَـصَر النَـبِيَّ بمـالِهِ وفِعـالِهِ وخُرُوجِـهِ مَعَـهُ مـن الأوطـانِ
ثَانيـه في الغـارِ الذي سَـدَّ الكُـوَى بِرِدَائِـهِ أَكْـرِم بِـهِ مِـنْ ثـانِ
وَجَفَـا الغِـنى حَـتَّى تَخَلَّـل بالعَبَـا زُهـداً وأَذْعَـنَ أَيَّمـا إِذْعَانِ
وتَخَلَّلَـتْ مَعَـهُ مَلائِكَـةُ الـسَّما وأَتَتْـهُ بُـشرى اللهِ بالرِّضْـوَانِ
وهـو الذي لَـمْ يَخْـشَ لَوْمَـة لائـمٍ في قَتْـلِ أَهْـلِ البَـغْيِ والعُـدوانِ
قَتَـلَ الأُلى مَنَعـوا الـزَّكاة بكُفْـرِهِمْ وأَذَل أَهْـلَ الكُفـر والطُّغيـانِ
سَـبَقَ الـصَّحَابَةَ والقَرَابَـةَ لِلهُـدى هـو شَـيْخُهُمُ في الفـضلِ والإِحْـسَانِ
واللهِ مـا اسْـتَبَقُوا لِنَيْـلِ فـضيلةٍ مِثْـلَ اسـتباقِ الخيـلِ يـومَ رِهـانِ
إلاَّ وطـارَ أبي إلى عَلْيَائِهـا فمكانُـه منهـا أَجَـلُّ مـكانِ
وَيْـلٌ لِعَبْـدٍ خـانَ آلَ مُحَمَّـدٍ بِعَـدَاوةِ الأزواجِ والأَخْتـانِ
طُـوبى لِمَـنْ والى جمـاعةَ صَـحْبِهِ ويكـونُ مِـن أحْبَابِـهِ الحَـسَنانِ
بـينَ الـصحابةِ والقرابـةِ أُلْفَـةٌ لا تـستحيلُ بِنَزْغَـةِ الـشيطانِ
هُـمْ كالأَصـابعِ في اليـدينِ تواصُـلاً هـل يَـسْتَوي كَـفٌّ بغـير بَنَـانِ
حَـصِرَتْ صُـدُورُ الكافـرين بـوالدي وقُلـوبُهُمْ مُلِئَـتْ مـن الأضـغانِ
حُـبُّ البَتـولِ وَبَعْلِهـا لـم يَخْتَلِـفْ مِـن مِلَّـةِ الإِسـلامِ فيـه اثنـانِ
أكْـرم بأربعـةٍ أئمـةِ شَرْعِنـا فَهُـمُ لِبيـتِ الديـنِ كالأَرْكَانِ

نُسِجَتْ مَوِدَّتُهم سَدًى في لُحْمَةٍ   فَبِناؤها مِنْ أَثْبَتِ البُنيانِ
الله أَلَّفَ بَيْنَ وُدِّ قُلُوبِهِمْ   لِيَغِيظَ كُلَّ مُنَافِقٍ طعَّانِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمُ صَفَتْ أَخْلاَقُهُمْ   وخَلَتْ قُلُوبُهُمُ مِنَ الشَّنَآنِ
فَدُخُولُهُم بَيْنَ الأَحِبَّةِ كُلْفَةٌ   وسِبَابُهُمْ سَبَبٌ إِلى الحِرْمانِ
جَمَعَ الإِلهُ المسلمين على أبي   واستُبدلوا مِنْ خوْفهم بأَمان
وإذا أرادَ الله نُصْرَة عَبْدِهِ   مَنْ ذا يُطيقُ لَهُ على خُذْلانِ
مَن حَبَّني فَلْيَجْتَنِبْ مَنْ سَبَّني   إنْ كانَ صانَ مَحَبَّتي ورعاني
وإذا مُحِبِّي قَدْ أَلَظَّ بِمُبْغِضي   فَكِلَاهُما في البُغْضِ مُسْتَوِيانِ
إِني لَطَيِّبَةٌ خُلِقْتُ لطيِّبٍ   ونِساءُ أَحْمَدَ أطيبُ النِّسْوانِ
إِني لأَمُّ المؤمنينَ فَمَنْ أَبَى   حُبِّي فَسَوْف يَبُوءُ بالخُسْرَانِ
الله حَبَّبَني لِقَلْبِ نَبِيِّه   وإلى الصراطِ المستقيمِ هداني
والله يُكْرِمُ مَنْ أَرَادَ كَرامتي   ويُهِينُ رَبِّي مَن أرادَ هواني
والله أَسْأَلُهُ زيادةَ فَضْلِهِ   وحَمِدْتُهُ شُكْراً لِما أَوْلاني
يا مَن يَلُوذُ بِأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ   يرجو بذلك رحمةَ الرحمانِ
صِلْ أُمَّهَاتِ المؤمنينَ ولا تَحُدْ   عَنَّا فَتُسْلَبْ حُلَّةَ الإِيمانِ
إِني لصادِقَةُ المقالِ كريمةٌ   إِيْ والَّذي ذَلَّتْ لَهُ الثَّقَلانِ
خُذْها إليكَ فإِنَّما هي رَوْضَةٌ   محفوفَةٌ بالرَّوحِ والرَّيحانِ
صَلَّى الإلهُ على النبيِّ وآلِهِ   فَبِهِمْ تُشَمُّ أزاهِرُ البُستانِ

و ـ تخميسها المسمى بلوغ السعد والأمنية في مدح سيدتنا أم المؤمنين المبرأة الصديقية، لعبدالحميد بن محمد علي قدس المكي(ت1335هـ):

اطّلع العالم الأديب عبد الحميد بن محمد علي قدس الشافعي المكي(ت1335هـ) على قصيدة الواعظ فأعجب بها وقام بتخميسها ظهر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم الحرام من عام1319هـ، وقد نشر ضمن مجموع نادر في مطبعة الترقي في مصر سنة 1319هـ، وفيما يلي نص هذا التخميس:

هذا التخميس النفيس على القصيدة السنية، المقولة على لسان المبرأة الصديقية، سيدتنا أم المؤمنين عائشة المحظية، زوجة وحبيبة خير البرية، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه بكرة وعشية، وهي متضمنة لمدحتها البهية، تقبّل الله تعالى ذلك إنه مبلغ الأمنية، آمين آمين.

قف واستمع قولاً عظيم الشان ... في مدح زوج المصطفى العدنان
إذ قال عنها مثبت البرهان ... (ما شَانُ أُمِّ المؤمنين وشَاني)
(هُدي المُحِبُّ لها وضَلَّ الشَّاني)

فاقت كل النساء بنبلها ... ولدى العلوم بدت معالم
وإذا أردت بيان عزة نيلها ... (إنِّي أقول مُبَيِّناً عن فَضْلِها)
(ومُتَرجِماً عن قوْلها بلِسَاني)

يا مدعي حُبِّ المشفع أحمد ... خذ حبّ حِبَّته شفيعك في غد
فإذا أبيتَ أقول قول مسدد ... (يا مُبْغضي لا تَأْت قَبْرَ محمَّدٍ)
(فالبَيْتُ بيتي والمَكانُ مَكاني)

أتظن تحظى مع قلاك بمقصد ... حاشا فأنت إذا بشرٍّ مُغْتَدِ
أو ما ترى ما حزته بتأيُّدِ ... إنِّي خُصِصْتُ على نِساءِ مُحَمَّدٍ
(بِصِفاتِ بِرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعاني)[1]

(1) انظر نصّ هذا التخميس كاملا ضمن القصيدة الوضاحية بتحقيق نظام صالح يعقوبي(ص21ـ30).

خاتمة

وفي ختام هذا البحث يمكن القول أن المغاربة والأندلسيين كانوا يتصدون لجميع العقائد المخالفة لعقيدة أهل السنة؛ ويرفضون أن يُمَسَّ جناب الصحابة بسوء، ولذلك نجدهم في مختلف أنماط تصانيفهم وكتاباتهم قد أنزلوا الصحابة الكرام منزلتهم التي نطق بها الكتاب والسنة؛ من وجوب محبتهم وإجلالهم وتبجيلهم وتوقيرهم، والإمساك عما شجر بينهم.

وبالرجوع إلى أشهر منظوماتهم العلمية التي وُلعوا بإنشائها نجدها أيضا تتحدث عن فضائل الصحابة وتنافح عنهم، ولعلّ أقوى منظوماتهم لهجة في بيان منزلة الصحابة ورد الشبهات الموجهة إليهم تلك التي تنتمي إلى القرن الخامس الهجري الذي عرف انتفاضة ظاهرة لعلماء المغرب والأندلس ضد أفكار العبيديين الشيعة التي يُعد الطعن في الصحابة والنيل من مكانتهم أحد أبرز منطلقاتها، وكان اعتمادهم في وأد تلك الأفكار الدخيلة على المجتمع المغربي الأندلسي والقضاء عليها على الحجج الواضحة والبراهين الساطعة من كتاب الله وسنة ورسوله وإجماع الأمة، وهو ما يتجلى في المقاطع التي أوردتها في هذا البحث من منظومات أبي عمرو الداني وابن عمار الكلاعي وأبي محمد القحطاني، ويتضح أيضا في صورة ناصعة من خلال قصيدة أبي عمران الواعظ في مناقب أم المؤمنين عائشة التي خصّصت حيزاً كبيراً من هذا البحث للتعريف بها اعتبارا لأهميتها واشتهارها.

وبالجملة فهذا البحث يكشف عن استعمال علماء المغرب والأندلس للنظم وسيلة لتجلية منزلة الصحابة الكرام والدفاع عنهم كما هو شأنهم في استعمال مختلف أنماط الكتابة في التعبير عن عقائدهم ومواقفهم وآرائهم، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المصادر والمراجع

- أصول السنة، لأبي عبد الله محمد بن عبدالله الشهير بابن أبي زمنين، تحقيق: عبد الله البخاري، نشر مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة، ط1415/1هـ
- إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، لأبي العباس أحمد بن محمد المقري(ت1041هـ)، نشر دار الفكر ببيروت، بدون تاريخ.
- البداية والنهاية، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(ت748هـ)، تحقيق: عبدالله التركي، نشر دار هجر بالجيزة، ط.1419/1هـ - 1998م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، لعياض بن موسى السبتي(ت544هـ)، تحقيق سعيد أعراب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1403هـ.
- التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار، تحقيق: د. عبدالسلام الهراس، نشر دار المعرفة بالدار البيضاء، بدون تاريخ.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي عبدالله محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، لأبي عمرو عثمان ابن سعيد الداني، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، نشر دار ابن الجوزي بالدمام، ط.1419/1هـ - 1998م.
- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أحمد بن عثمان الذهبي(ت748هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط.1422/11هـ - 2001م.

- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، لمحمد بن الحاج الصغير الإفراني، تقديم وتحقيق عبدالمجيد خيالي، نشر مركز التراث الثقافي المغربي بالدار البيضاء، ط.1/2004م.
- فهرسة ما رواه عن شيوخه، لأبي بكر محمد بن خير الإشبيلي(ت575هـ)، منشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت عن الأصل المطبوع في مطبعة قومش بسرقسطة سنة 1893م.
- قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها، نظم أبي عمران موسى بن محمد بن عبدالله الواعظ الأندلسي، تحقيق: الدكتور فهد الرومي، نشر مكتبة التوبة بالرياض، 1418هـ/1998م.
- القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، للشيخ أبي عمران موسى بن محمد بن عبدالله الأندلسي المعروف بابن بهيج، اعتنى بها نظام محمد صالح يعقوبي، سلسلة: لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام برقم:33، نشر دار البشائر الإسلامية ببيروت، 1423هـ/2002م.
- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري(ت630هـ)، مراجعة وتصحيح الدكتور محمد يوسف الدقاق، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط.1/1407هـ-1987م.
- الكواكب السائرة في ترتيب الزيارة، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن ناصر الأنصاري المعروف بابن الزيات(ت814هـ)، نشر دار ومكتبة بيبليون بجبيل لبنان، 2009م.
- مجلة المناهل الصادرة عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بالرباط، العدد السادس ـ السنة الثالثة، رجب1396 /يوليو1976م.
- المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت852هـ)، تحقيق: يوسف عبدالرحمن المرعشلي، نشر دار المعرفة ببيروت لبنان، ط.1/ 1415هـ 1994م.

- مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، للإمام العارف موفق الدين بن عثمان، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، نشر الدار المصرية اللبنانية، ط.1/1415هـ - 1995م.
- معجم السفر، للحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السِّلَفِي(ت576هـ)، تحقيق: الدكتور شير محمد زمان، نشر مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد باكستان، 1408هـ - 1988م.
- المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)، تحقيق: محمد شكور الميادينى، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط.1/1998م.
- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، لابن رُشَيْد الفهري السبتي(ت721هـ)، السفر الخامس، تحقيق: محمد الحبيب بلخوجه، نشر دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط.1، 1408هـ/1988م.
- منبهة الإمام المقرئ أبي عمرو الداني، دراسة وتحقيق وتعليق: الحسن وكاك، ط.1/1430هـ - 2009م.
- نظم العقدين في مدح سيد الكونين، لابن جابر الأندلسي(ت780هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد فوزي الهيب، نشر دار سعد الدين بدمشق، ط.1/1426هـ 2005م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف أبي العباس أحمد المقري التلمساني(ت1041هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، نشر دار صادر ببيروت، ط.1/1988م.
- نونية القحطاني: أبي محمد عبدالله بن محمد الأندلسي، تصحيح وتعليق: محمد بن أحمد سيد أحمد، نشر مكتبة السوادي للتوزيع بجدة، ط.3/1415هـ - 1995م.
- وصية محمد بن موسى الشهير بابن عمار الكلاعي الميورقي لابنه، تصحيح وتعليق: بدر العمراني، نشر دار الكتب العلمية ببيروت/ 1424هـ - 2003م.